يرد الهجوم ، ولا يدفع التهم ، ولا يسمح بالتساؤل ، انه يكتب . فهو من جيل ما بين الحربين ، ويعتبر ان جميع البشر الذين في سنه مسؤولون عن الحرب . ورغم انه ناضل ضدها فقد فشل ، ولذلك كان يعتبر نفسه مذنبا . وها هو يعمل ما في وسعه بعد الحرب الثانية ان يمحو تناقضات العالم وان يمنع مأساة الحرب من ان تتكرر . وحين رأى ان الكتابة وحدها لا تفيد أنشأ حركة « الاشتراكي الثوري الحر » ليبعد فرنسا عن أميركا ويدفعها نحو اليسار دون ان تقع في جمود الشيوعية. لقد حدد مسؤولياته وراز أثقالها ، لذلك لم يكن يعيقه شيء عن العمل ، اما هنري فانه من الجيل الذي استكمل وعيه أثناء الحرب فهو يعي مسؤولياته لكنه يشك في امكانياته . انه يدرك أن عصر الفرد قد تولى الى غير رجعة ، وان الكتل الكبيرة هي التي تقرر دمار العالم أو استمراره . لذلك لا يؤمن كثيرا لا بالكتابة ولا بجدوى العمل . ان ما يهم هنري هو أن يفهم العالم بدل ان يعيد خلقه بالكلمات . ولهذا السبب يقف مشدوها حين يعلم أن قنبلة هيروشيما الذرية قد أبادت مائة الف شخص ومحت من الوجود معالم مدينة بأكملها أما دوبروي فانه يسمع الخبر ولا يلبث أن يخرج أوراقه ليعاود العمل : الكتابة . وفي هذه الاونة يجري حوار طريف :

(هنري ـ ولا تزال لك الشجاعة لتكتب ! !

آن (زوجة دوبروي) ـ انه وحش . انه سيشتغل حتى بين انقاض هيروشيما .

هنري ـ انه يشتغل بين انقاض هيروشيما .

دوبروي ـ لم لا ؟ لقد كانت هناك دوما انقاض في مكان ما)

ص ٤٠٠

وان هذه الرؤية الشاملة مع الانكار التام للذات وما تحتوي من عواطف الخوف والشفقة ، ان هذه الرؤية تحصن دوبروي ضد كل أسف او تعطيل . لا شيء يوقفه عن عمله لانه وعى كل شيء . اما هنري فان عواطفه الذاتية تشله في أكثر الاحيان عن العمل ، لانه يشك في قيمة الدور الذي يلعبه المثقف في توجيه الجماهير . لقد كان يأمل دوبروي بثورة تحتفظ بالقيم القديمة : الحقيقة ، الحرية ، الاخلاق الفردية ، الادب والفكر. وكان قد وجد توازنا سعيدا بين العمل السياسي والكتابة الفكرية الادبية ، في حين أن هنري كان يدرك بشكل حدسي أن لا مجال للجمع بين هاتين الرسالتين ، فاما العمل واما الكتابة . ولما كان يختار الكتابة فقد كان يدافع عن نفسه دائما ليبتعد عن العمل السياسي . ولكن بما أنه فرد واع فان وعيه لا يرضى بالابتعاد عن العمل السياسي وان كانت اهواؤه تطغى عليه دائما ، واشد ما يكون هذا الطغيان اثرا حين يتعلق بقضية عامة ، فهو لا يستطيع ان يتحمل منطق المرحلة ولا يقبل أن يتنازل عن الحقيقة ولا يرضى بأن يساوم على رأيه فيقول نصف ما يعرف ويحتفظ لنفسه بالباقي . وهذا ما أوقعه في أزمة البرتغال ، وفي أزمة ارتباط جريدته « الامل » بحركة الاشتراكي الثوري . وهذا ما يبعده عن الانتساب الى الحزب الشيوعي . انه ليس أنانيا ولا نرجسيا ولا مفترا بذاته ، لكنه صادق تجاه ما يعتقد انه الحقيقة . ولهذا لا يصلح هنري أن يكون حزبيا اذ لا يستطيع أن يحمل نفسه على ما لا تريد . واذا كان دوبروي قد سيطر على نفسه ومحا فرديته وتقمص افكاره بحيث اصبح تحقيق شخصيته مرتبطا بتحقيق افكاره فان هنري ليس كذلك . والمأساة في الرواية تتحدد منذ ان يلتقي رجل العقيدة بالفرد الواعي . واذا كان دوبروي قد ظل يضغط على هنري حتى استسلم هنري واعطاه الجريدة وجهوده كلها ، فلا يجوز لنا ان ننظر بعين الرضى الى هذا الاستسلام . لان الموقف يتطور بسرعة ، فرجل العقيدة قد اصبح سياسيا ، وفي السياسة مبدأ ثابت مفاده ان قليلا من الشر خير تماما اذا قورن بالشر كله . اما بالنسبة لهنري فان الشر شر سواء اذا كان قليلا او كثيرا . ولهذا السبب نرى هنري على استعداد لان ينتقد كل اخطاء الاتحاد السوفييتي مع تأييده الضمني

ـ التتمة على الصفحة ٥٧ ـ

القتيل

«الى قمر اسبانيا الذي قتل بالامس للمرة الخامسة والعشرين ..»

*

الضوء يلهث في الزجاج ، وفي الشوارع
لزجا يمر على النوافذ
وبفوهة الرشاش يختنق الضياء

*

للمرة التسعين في العتمات ، يا فجرا مدمى
قلب يصيح ، بلا عيون
متشبث بالنور .. يا اصرار اعمى
وانسدت الساحات ميتة المنافذ
في وجهه الذبلان ... يا قمرا حزين
خطواتهم كانت على الاسفلت شاحبة الرنين
سكرى ، وفي ايديهمو .. قمر مدمى
كان الغبار ، وبعض اوراق تطير بلا جناح

*

بالامس يا قمرا حزين
اطرقت في وجهي .. وعيناك انفتاح
مملوءتان بخضرة الاوراق والدم والنسائم
كان الرذاذ ينث ، يا همسات هائم
في مقلتيك ، الم تكن يوما قتيلا ؟
وعلى الشفاه الزرق كان الافق غائم
أو لم تسر فوق الندى ظمآن ..
يا عشبا خضيلا ؟

*

من ربع قرن ، كان في عيني نور
ـ ميلاده اللحظات ـ مثل النبع تشربه الجذور
وكنتَ انت بلا عيون !
خصلاتك المذعورة السوداء اغرقت الجبين
وكنت من غرناطه الخضراء ، تشرب كل لون
والارض تغرق في عيونك والسماء

*

لو عدت في مد البحار ، لكنت تنظر للسنين
دربا يمر اليك في مدريد ..
في القلب المدمى
ولكنت تنظر في عيوني :
ـ يا اخضر العينين .. « كنتَ .. »
وفي جبيني
مطر يئن بلا انتهاء

بغداد

سلمان الجبوري